

حياة و أعمال

بقلم صاحب السيرة ذاته

ولد أبو العيد دودو في 31.1.1934 بدوار تمنجر، وهو قرية صغيرة في بلدية العنصر، ولاية جيجل، وأدخله أبوه، وكان الوحيد من بين إخوته الخمسة (وكان الخامس من بينهم)، يوسف (توفي عام 1997) والصفافية (توفيت في منتصف الخمسينيات) وأحمد (يعيش بالعاصمة) و مسعودة (وتعيش بالعاصمة) و الحسين (و يعيش بمستغانم) و علي (توفي بعد موت الوالد بسنة واحدة) — أدخله المدرسة القرآنية بالقرية نفسها، وقال عنه لأهله، رغم ظروفه المادية التعبة في ذلك الحين وفي كل حين: " لن أخرج من الجامع إلا إذا أخرجوه منه بعد موتي ! " وقد أخرج فعلا من المدرسة القرآنية بعد أن انتقل والده إلى رحمة ربه عام 1937. وأصبح بعد ذلك راعيا لثلاث معزات وجددي واحد، أخذه منه ذئب ذات يوم، وهو في شجرة الزان يقطع أغصانه لمعازه ومعاز أحد الرعاة كان معه، وهذا رغم ما كان عند الراعي الآخر من جديان تتجاوز الثلاثين، وقد خامرته آتئذ شعور صيباني بأن ما وقع له ليس حقا ولا عدلا.

ولم يرض أحد أقاربه، وهو الشهيد أحمد دودو، الذي كان قد حرم من الولد، وكان يعيش في مدينة قسنطينة، عن تركه لمدرسة الكتاب. فزار القرية بمجرد أن سمع بذلك، وجاء إلى أمه وراح يلومها على ذلك، فشكت إليه بأنها قد اضطرت إلى ذلك اضطرارا نظرا لما تعانیه من فقر من جهة، ولصغر أخته وآخر إخوته من جهة أخرى. لكنه لم يقتنع — لسبب ما قد يكون إرهاصا — بما قالت له، وتمنى لها، وليس بخاف ما في هذه الأمنية من قسوة، ظاهريا على الأقل، أن تصاب معازها بالجرب فتضطر إلى بيعها، ويصبح عندئذ في إمكانه أن يأخذها إلى بيته في مدينة قسنطينة لمواصلة دراسته. ولم تكذب تمضي على ذلك أشهر قليلة، حتى وقع ما ثمنها لها، كأنما كان له — رحمه الله — تحالف خفي مع الجرب، ولم يكن يقصد غير الخير له والمستقبله طبعاً! فبيعت المعاز الجربي بثمن بخس لا يسد الأفواه الجائعة فترة طويلة.

لم تكذب تنتهي الحرب العالمية الثانية، حتى التحق بأخيه يوسف في مدينة قسنطينة استجابة لرغبة قريبه المذكور، وبما أنه كان في ذلك الحين يقوم برحلة تجارية (كان يتاجر في الصوف والجلود) استغرقت عدة شهور، فقد أقام عند أخيه في حي سيدي عبد المؤمن، واشتغل في بيع الهلاليات، التي كان يصنعها أخوه مع شريك له، وفي بيع السكاثر وعلب الشِّمة (السعوط) وغير ذلك ليكون له مصروفه الجيبى على تواضعه. ولما عاد قريبه، أخذه إلى بيته، وأدخله في البداية مدرسة قرآنية بجي "سيدي بو عناية"، كان

يديرها المرحوم الشيخ محمود حماني، كما ألحقه في الوقت نفسه بمدرسة ابتدائية خاصة، كان يديرها ويشرف عليها الشهيد الشيخ محمد الزاهي، وكلاهما من أبناء قرينته، وكان قد تعلم في القرية شيئا من الأدب العربي على يد المرحوم الصادق حماني، ولا يزال إلى اليوم يذكر أبياتا لامرئ القيس حفظها له في ذلك الحين من سنه المبكرة!

و عندما فتح معهد عبد الحميد بن باديس، وكان منشأة من منشآت جمعية المسلمين الجزائريين، أبوابه في السنة الدراسية 1947-1948، التحق به و درس على أساتذة معروفين في الحركة الإصلاحية الجزائرية، أمثال الشيخ أحمد حماني — رحمه الله وهو من أبناء قرينته أيضا — والشيخ عبد الرحمن شيبان، حفظه ومد في عمره، والمرحومين الشيخ العباس بن سيدي الحسين، والشيخ عبد القادر الياجوري، و الشيخ عبد المجيد حيرش، وغيرهم، مدة أربع سنوات، زامل خلالها بعض الشخصيات الفكرية المعروفة اليوم بنشاطاتها المتميزة أمثال الدكتور عثمان سعدي، مد الله في عمره، و المرحوم والدكتور حنفي بن عيسى وغيرهما. وانتقل في سنة 1951 إلى تونس لأداء امتحان الأهلية، لأن معهد عبد الحميد بن باديس كان فرعاً من جامع الزيتونة. وواصل دراسته بمكتب ابن عبد الله التابع له، وكان من بين أساتذته الأديب التونسي العروسي المطوي، والمربي الأستاذ عبد الكريم المراق، وقد ترك كل منهما أثراً في نفسه، الأول فيما يتصل بالحروب الصليبية ومقاومة العرب للصليبيين، والثاني في الأدب العربي، خصوصاً محاضراته عن امرئ القيس وعنيزته، وبشكل أخص مفهوم الوطنية في:

تطاول الليل علينا دمون دمون إننا معشر بمانون

و إننا لأهلنا محبوبون

وسافر في السنة الموالية في بعثة إلى العراق، والتحق بدار المعلمين العالية في بغداد، ودرس أربع سنوات في قسم اللغة العربية، وكان من أساتذته فيها المرحومون العالم اللغوي و المحقق الشهير الدكتور مصطفى جواد، وشاعر الثورة العراقية في مطلع العشرينيات الوطني الغيور الدكتور محمد مهدي البصير، الذي كثيراً ما كان يسحرنا بأبيات من شعره، خصوصاً قوله مقلداً يا ليل الصب للحصري:

وطني والحق يؤيدُه أصفيه الحب وأعضدُه

أهواه ولولا مبدعُه لجهرت بأني أعبدُه

كذلك الناقد المعروف الدكتور علي جواد الطاهر، والدكتور عبد الرزاق محي الدين، و الدكتور صفاء خلوصي، وغيرهم من الأساتذة الكبار، الذين يدين لهم بالكثير من عناصر تكوينه، و تخرج منه عام 1956 حاملاً شهادة الليسانس في الأدب العربي.

وانتقل في السنة نفسها إلى النمسا ، والتحق بقسم الدراسات الشرقية في جامعتها، ودرس الأدبين العربي و الفارسي إضافة إلى العلوم الإسلامية وبقية المواد الإجبارية مثل الفلسفة وعلم النفس واللغات القديمة، وقد وقع اختياره على اللغة اللاتينية ، و قدم رسالة عن الشاعر و المؤرخ السوري ابن نظيف الحموي دراسة وترجمة إلى الألمانية، ونال درجة الدكتوراه في شهر مارس عام 1961. وواصل بعدئذ التدريس ، الذي كان قد بدأه عام 1960، بالمعهد، الذي تخرج منه، إلى أن دعته جامعة كييل بألمانيا لتدريس العربية والأدب العربي بالمعهد الشرقي، الذي كان يديره المستشرق المعروف فيلهلم هونرباخ (1911 —)، وقضى فيه ثلاث سنوات ، و عاد مرة أخرى إلى فيينا بدعوة من جامعتها، وجهها إليه أستاذه المستشرق هانس لودفيغ غوتشالك (1904 — 1980)، فعمل تحت إشرافه ، واصل تدريس اللغة العربية والأدب العربي ، ونشر بعض الدراسات عن الأدب الجزائري باللغة الألمانية خاصة، والأدب العربي الحديث عامة، وترجم مسرحية بلال محمد العيد إلى الألمانية، ولكن مجلة البستان الشرقية، التي كان يرأس تحريرها أحد الأساتذة الجامعيين، رفضت نشرها بدعوى أنها مسرحية دينية، لا يتجلى فيها النضال من أجل العقيدة الحرة، ومع رفض نشرها ضاع النص المترجم واختفى بصفة نهائية إلى اليوم !

وتلقى مرة أخرى دعوة من جامعة فرايبورغ للتدريس بمعهدا الشرقي، الذي كان يشرف عليه المستشرق الأستاذ هانس روبرت رومر (1915 —)، ولكنه لم يتفق معه على شروط العمل، ففضل بعدئذ العودة إلى وطنه في مطلع 1969، و الالتحاق بالقسم العربي في جامعة الجزائر لتدريس ملدة الأدب المقارن والآداب القديمة، ونظرية الأدب، ولا يزال به إلى اليوم مقتصرًا على تدريس مادة التخصص والإشراف على طلبة الماجستير والدكتوراه. وقد درس عليه مئات من طلبة الليسانس، وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه. وقد تولى إدارة المعهد في السنوات الماضية مدة إحدى عشرة سنة في فترتين، الأولى من سنة 1975 — 1981، والثانية من 1984 — 1988 . وهو متزوج من نمساوية منذ عام 1963 أيام إقامته بالنمسا، وله منها أربعة أولاد، ثلاث بنات وولد، مهندسان في الهندسة الفنية (سمير، ويعيش في فيينا) و الهندسة المعمارية (نادية، وتعيش في وهران)، ومتخرجة من مدرسة الإدارة الأوربية بفيينا (ياسمين، وتعيش في فيينا)، ومتخرجة من معهد علوم البحار بجامعة الجزائر، متخصصة في الكيمياء والتلوث البحري (سلمى، وتعيش في بالعاصمة)، وكلهم متزوجون، وقد أصبح حتى الآن جدا للمرة الخامسة.

وقد شارك في عدة ملتقيات ومؤتمرات أدبية في الجزائر وفي بعض البلدان العربية، كما قام بعدة رحلات في الوطن العربي وبعض البلدان الأوربية والأسبوية، من بينها الاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية . وكتب القصة والمسرحية و الخرافة والدراسة النقدية والدراسة المقارنة وقصيدة النثر، وممارس

الترجمة إلى العربية من أكثر من لغة كما ترجم إلى الألمانية بعض قصصه وبعض المقطوعات الشعرية للشاعر الجزائري المعروف محمد العيد آل خليفة، نشرت في المجلات والمجموعات القصصية المترجمة من لغات عديدة إلى الألمانية، كما ترجم قصائد لعدد من الشعراء والشاعرات الأحياء . وهذه قائمة بأعماله المختلفة، الموضوع منها والمترجمة:

الأعمال الإبداعية:

أ — القصص :

ط 4 1992	ط 3 1984	ط 2 1967	ط 1	1 — بحيرة لزيتون
ط 2 1992	ط 1 1971			2 — دار الثلاثة
ط 1 1981				3 — الطريق الفضي
2001	1998 الجزائر	دمشق		4 — الطعام والعيون
ط 1 1985				5 — صور سلوكية ج 1
ط 1 1990	ج 2			6 — صور سلوكية
ط 1 1993				7 — من أعماق الجزائر (صور سلوكية)
				8 — ظواهر اجتماعية (سلوكيات قيد الإعداد)
				9 — خرافيات (خرافات قيد الإعداد)

ب — المسرحيات :

ط 1 1968				1 — التراب
ط 1 1981				2 — البشير

ج — الدراسات :

ط 1 1971				1 — كتب و شخصيات
ط 2 1990	ط 1 1975			2 — الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان
ط 1 1990				3 — دراسات أدبية مقارنة
1994				4 — هاملت وعطيل (تقدم) الجزائر
1894				5 — مكبث والعاصفة (تقدم) الجزائر

- 6— رحلة إلى الهند لفورستر (تقدم : قيد الطبع لدى موفيم للنشر منذ مدة)
 7— من وراء الحدود دراسات في الأدب العالمي (مخطوطة)
 8— مدار التواصل أحاديث متفرقة (مخطوطة)
 9— جزائريات (مخطوطة)
 10— شاعر وقصيدة (مخطوطة)
 11— من الأعماق أيضا صور سلوكية (قيد الإعداد)

— الأعمال المترجمة:

- 1 — مذكرات بفايفر ط 1 1975 ط 2 1998
 2 — ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا (مالتسان) 3 أجزاء 76 — 1980
 3 — مدخن الحشيش (رواية عن الجزائر لمالتسان) 1971
 4 — قسنطينة أيام أحمد باي (لشلوصر) 1976
 5 — حديقة الحب (مسرحية للوركا) 1976
 6 — الضيف الحجري (" لبوشكين) 1976
 7 — مسرحية بادن (" لبريخت) 1976
 8 — الهروب إلى الله (" لتسفايغ) 1976
 9 — العاصر الأول (" لتولستوي) 1977
 10 — الشاعر وقصيدته (مقالات ونماذج لعدة شعراء) 1981
 11 — الإنسان الطيب (لبريخت) نشر في المجاهد الأسبوعي 1963
 12 — الجزائر حكومة وشعبا نشر مع مذكرات بفايفر ط 2 1998
 13 — الزوجان الجديدان ليورنستيرنه نشر مسلسلا في الشعب 1992
 14 — الأمير عبد القادر لكارل يوهان بيرنت دار هومة 1997
 15 — حكايات السيد كوينر (تحت الطبع في الجاحظية منذ ثلاث سنوات أو أربع)
 16 — كتاب الطريق والفضيلة للاوتسي دار هومة 1999
 17 — الأمير عبد القادر والعلاقات العربية الفرنسية لديترن دار هومة 1999
 18 — ماهي العولة لألريش بك دار الجمل 1999
 19 — مختارات شعرية ونثرية لغوته دار الجمل 1999

2000	دار الحكمة	20 — العمل الفني اللغوي لفولفغانغ كايزر
2001	منشورات الاختلاف	21 — الحمار الذهبي لأبوليوس
2001	دار الجمل	22 — القط والفأر لغوتتر غراس
2001	دار الجمل	23 — العالم الجميل لألريش بك
2002	منشورات الاختلاف	24 — أصل العمل الفني لمارتين هيديفر
2003	منشورات الاختلاف	25 — منزل الأرملة لأنطون تشيخوف
2003	منشورات الاختلاف	26 (العازف الأعمى وقصص أخرى

هـ — الترجمات المخطوطة:

- 1 — والنور يسطع في الظلام لتولستوي
- 2 — صافو لفرانس غريلبارتسر
- 3 — الطب الشعبي في الجزائر إبان الاحتلال لشونبيرغ
- 4 — بريخت في بعض قصصه (أرسل إلى دار الجمل في ألمانيا في صيف 1999)
- 5 — بريخت في بعض قصصه وأشعاره القصصية
- 6 — ما تغنى به العنديلبي لميخائيل زوستشينيكو
- 7 — من القصص النمساوي
- 8 — مسرحيات جورج بونخر
- 9 — زنايق — أشعار عالمية (أرسل إلى اتحاد الكتاب العرب في دمشق 2000)
- 10 — من القصص الروسي
- 11 — خرافات ليسينغ
- 12 — الجزائر في السنوات السبع الأولى من الاحتلال ترجم في إطار فرق البحث العلمي

و — التحقيق :

- 1 — التاريخ المنصوري لابن نظيف الحموي دمشق 1982 الجزائر 1990
- ز — اللغة:
- 1 — قاموس ألماني — عربي دار الأمة 1995

1996

3 — مفتاح اللغة الألمانية لجميع المستويات دار الأمة

4 — مفتاح اللغة الألمانية . قراءة ومحادثة (في انتظار دوره بدار الأمة منذ سنوات)

لقد صدرت هذه الكتب كلها عن الشركة الوطنية للكتاب باستثناء بحيرة الزيتون ، التي صدرت في طبعتها الأولى عن دار صحيفة الشعب ، وكتب من " أعماق الجزائر " و " القاموس الألماني العربي " و " مفتاح اللغة الألمانية " ، التي صدرت عن دار الأمة ، وكذلك كتاب " الأمير عبد القادر " الذي صدر عن دار هومة . وهناك مقالات وترجمات وقصص عديدة بالعربية وبالألمانية لم تجمع بعد في كتاب . وللكتاب إضافة إلى ذلك مذكرات ذاتية وكتابات موضوعية ، شرع في كتابتها ، بعد أن أتلّف مذكرات أربع سنوات في دفتر من خمسمائة صفحة ، كتبها أيام دراسته في العراق — أتلّفها ليتدفأ في يوم من أيام القر بفينيا ، عاصمة النمسا . ولقد كان ذلك الدفء لها أسود مدخنا ، لا يزال يلهب روحه ندما إلى اليوم ، مع ذلك فهو سعيد بما وقع إلى حد كبير ، لأنه فضل دفء مذكراته على الموت انتحارا في ديسار الغربية لظروف رهيبه مر بها آنذاك — شرع في كتابتها في 19/11/1968 ، تتجاوز ألفي صفحة ، نُشر من الدفتر الأول منها ثماني عشرة حلقات في المجاهد الأسبوعي تحت عنوان " كتابات مهمة " فيما بين 17/8/1990 و 12/1990 / و ست حلقات تحت عنوان " خفقات قلم " في الشروق الثقافي فيما بين 26/8/1993 و 28/10/1993 وفي صحف أخرى منها الحياة العربية والمحقق السري . وهذه المذكرات تتضمن أشعارا منثورة موضوعة ، وأشعارا أخرى مترجمة من لغات مختلفة ، ومنها قصائد من الأديين الصيني والهندي مترجمة عن الألمانية ، ودراسات عن عدد من القصص ، وتعريفات بعدد من الكتب أيضا كتبت بصورة عفوية ، كما تتضمن مجموعة من خرافات الناقد الألماني غوهولدر إفرايم ليسينغ (1729 — 1781) ، ويتناول جزء من الدفتر الأول من هذه المذكرات حياة المؤلف في المهجر . أما بقية الدفاتر ، فتتصل بحياته في الوطن إضافة إلى ما كتبه منها خلال زيارته لبعض البلدان العربية والأجنبية . وله كذلك عشر مفكرات ، تتضمن خمس منها اليوميات ، التي كان قد بدأ كتابتها بصورة متقطعة عام 1878 ، ثم صار يكتبها ابتداء من سنة 1992 بصورة متواصلة حتى الآن ، بينما تتضمن المفكرات الخمس الأخرى نواظر ومذكرات ، تعود إلى فترات مختلفة ، وترجمات شعرية ومختارات شعرية ونثرية ، يزيد عدد صفحاتها عن ألفين و خمسمائة صفحة ، وهي في مجموعها غابة كثيفة الفروع والأوراق من هموم وأحزان فردية — بعضها مرضي جدا — واجتماعية وسياسية وثقافية ، عاشها صاحبها خلال أكثر من ثلاثين سنة ، حين يلتفت إليها يحس أنها أكثر من ذلك بكثير لامتدادها في المستقبل !

هذا وللمؤلف إلى جانب ذلك كله مقطوعات شعرية قد تشكل ديوانا صغيرا ، اختار له ، بشكل عفوي تماما ، وقد جاءت هي بطبيعتها على نحو عفوي أيضا ، عنوان " وجدانيات " وقد بدأ في كتابتها ،

بل قرزمة هذه المقطوعات الشعرية، التي تراوح بين البيتين والخمسة عشر بيتا، عام 1993 عندما أشرف على الستين من عمره، وكان ذلك استجابة منه — بصفة المغلوب على أمره ! — لهزة عاطفية مفاجئة وغريبة في آن واحد، ولكنه سعد بما اعتبرها مرحلة جديدة في حياته الوجدانية والإبداعية ! ومع ذلك فهي في نظره لا تعدو أن تكون محاولة مثل بقية محاولاته الأخرى في شتى الميادين الفكرية والثقافية والأدبية، وكان هذا إيمانا منه بأن مثله يكب ما يستطيعه لا ما يريد أن يكتبه.. وما أكثر السياط التي ترصده قبل أن يبلغ أقل القليل مما .. يتغيه !

الجزائر، ضاحية بن عكنون 2003/12/7